

## الباب الرابع

### تطبيق قواعد التفسير فى تفسير السعدى عند الشيخ عبد الرحمن السعدى

وفى هذا الباب يشرح الكاتب من تطبيق القواعد الحسان فى تفسير القرآن كما شرح مما سبق.

تطبيق القواعد فى هذا الباب مقررات على القاعدة بتفسير السعدى المذكور ليس إجمالياً يشرح الكاتب

فى هذا ، يأخذ الكاتب بعضها فقط.

#### أ. القواعد التفسيرية

١. وفى القواعد التفسيرية لديه قواعد أساساً لعلم التفسير يعنى أخذ الإستنباط التفسيري حيث

يمنع المرء أن يفسر إختلافاً عن قواعد عامة.

وفى القواعد الحسان شرح الشيخ أن حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر

وشدته فى مقامات المعيد. كما فى قوله تعالى (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ

رَبِّهِمْ) <sup>٥٥</sup> (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فَرَعُوا فَلَا قَوَّةَ) <sup>٥٦</sup> (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ

لِلَّهِ جَمِيعاً). <sup>٥٧</sup> وفى القواعد الحسان شرح الشيخ أن حذف الجواب فى هذه الآيات وشبهها

أولى من ذكرهم ليدل على عظمة ذلك المقام، وأنه هو له وشدته وفضاعته لا يعبر عنه ولا يدرك

بالوصف.

---

<sup>٥٥</sup> السجدة: ١٢.

<sup>٥٦</sup> السبأ: ٥١.

<sup>٥٧</sup> البقرة: ١٦٥.

فأما التفسير في تلك الآيات في التفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان

فمما يلي:

(ولو ترى إذ المجرمون) الذين أصروا على الذنوب العظيمة

(ولو ترى) أيها الرسول ومن قام مقامك، حال هؤلاء المكذبين (إذ فرغوا) حين رأو

العذاب، وما أخبرتهم به الرسل وكذبوا به لرأيت أمل هائلا، ومنظرا منقطعاً، وحالة منكراً،  
وشدة شديدة.

(ولو يرى الذين ظلموا) باتخاذ الأنداد والإنقياد لغير العباد، وظلموا الخلق بصددهم عن

سبيل الله، وسعيهم فيما يضرهم (إذ يرون العذاب) يوم القيامة عياناً بأبصارهم (ان القوة لله

جميعاً وأن الله شديد العذاب) أي لعلموا علماً جازماً أن القوة والقدرة لله جميعاً، وأن أندادهم

ليس فيها من القوة شيئاً فيتبين لهم في ذلك اليوم ضعفها وعجزها، وظنوا أن لها من الأمر

شيئاً. وأنها تقرهم إليه وتوصلهم إليه، وخاب ظنهم، وبطل سعيهم، وحق عليهم شدة العذاب

ولم تدفع عنهم اندادا شيئاً، ولم تغن عنهم مثقال ذرة من النفع، بل يحصل لهم الضرر منها

من حيث ظنوا نفعها.

أن الشيخ فسر تلك الآيات منها: في السورة السجدة يفسرها بالذنوب العظيمة وأما

السورة السبأ يفسرها الشيخ "الرأيت شدة شديدة" وفي سورة البقرة "لعلموا علماً جازماً، وحق

عليهم شدة العذاب" وكل آيات تكون "لو" حرف الشرط. فالكلمات السابقة تدل على

تعظيم الأمر وشدته لا يعبر الشيخ عنه ولا يدركه بالوصف بحذف جوابه. فيستنبط الكاتب

أن التفسير للشيخ عبد الرحمن السعدي في الآيات السابقة مطابقة بقواعد التفسير مما شرح  
الشيخ في القواعد الحسان.

٢. وفي القاعدة الخامسة عشر شرح الشيخ أن الله جعل الأسباب للمطالب العالية مبشرات،  
لتطمين القلوب، وزيادة الإيمان، مثل قوله تعالى النصر في إنزال الملائكة به وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا  
بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ<sup>٥٨</sup> ، وقال في أسباب الرزق ونزول المطر وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ  
مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ،<sup>٥٩</sup> وأعم من ذلك ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* هُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ (يونس ٦٢ -  
٦٤)،

قد شرح الشيخ عن هذه القاعدة في القواعد الحسان عن تلك الآيات وهي البشرى كل  
دليل وعلامة تدلهم على أن الله قد أراد لهم الخير، وأنهم من أوليائه وصفوته، فيدخل فيه:  
الثناء الحسن والرؤبا الصالحة. ويدخل فيه ما يشاهدون من اللطف والتوفيق للهدى والعلم  
والإيمان ، والتيسير ليسرى، وتجنبيهم العسرى.

فتفسير تلك الآيات في تيسير الكريم ال عمران ١٢٦ أن الأسباب لا يعتمد عليها العبد،  
بل يعتمد إلى الله. وإنما الأسباب وتوفرها، وطمأنينة للقلوب، وثبات على الخير.<sup>٦٠</sup>

<sup>٥٨</sup> الأنفال: ١٠

<sup>٥٩</sup> الروم ٤٦

<sup>٦٠</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان التفسير السعدي (بيروت: دار

الإحياء التراث العربي، ١٤٦٠هـ / ١٩٩٩م) ١٥٠.

(ومن آيته) أي ومن الأدلة الدالة على رحمته وبعثه الموتى، وأنه الإله المعبود، والملك المحمود (أن يرسل الرياح) امام المطر (مبشرات) بإثارتها للسحاب، ثم جمعها، فتبشر بذلك النفوس قبل نزوله (وليدققكم من رحمته) فينزل عليكم مطرا تحيا به البلاد والعباد، وتذوقون من رحمته ما تعرفونه أن رحمته، وهي المنقذة للعباد الجالية لأرزاقهم. فتشتاقون إلى الإكثار من الأعمال الصالحة، الفاتحة إلى خزائن الرحمة. <sup>٦١</sup>

(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم) فيما يستقبلونه، مما أمامهم، من المخاوف والأهوال (ولا هم يحزنون) على ما أسلفوا، لأنهم لم يسلفوا إلا الله تعالى. ثم ذكر وصفهم ذلك فقال (الذين ءامنوا) بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وصدقوا بإيمانهم باستعمال التقوى، بامتنال الأوامر واجتناب النواهي. فكل من كان مؤمنا تقيا كان الله تعالى وليا أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق. وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم. وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم. {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} بل ما وعد الله فهو حق، لا يمكن تغييره ولا تبديله، لأنه الصادق في قيله، الذي لا يقدر أحد أن

<sup>٦١</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٧٧٢.

يخالفه فيما قدره وقضاه. {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} لأنه اشتمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب، وحصر الفوز فيه، لأنه لا فوز لغير أهل الإيمان والتقوى. والحاصل أن البشرى شاملة لكل خير وثواب، ربه الله في الدنيا والآخرة، على الإيمان والتقوى، ولهذا أطلق ذلك، فلم يقيده.<sup>٦٢</sup>

وفي مثال الأول أن الأسباب تكون تطينا للقلوب وثباتا للخير كما فسرها الشيخ قبله. وفي المثال الثاني أن الأسباب عن الرزق ونزول المطر تكون مبشرات أي تحيا البلاد والعباد. وفي المثال الثالث ان المراد التبشير فيه الثناء الحسن والرؤبا الصالحة. ويدخل فيه ما يشاهدون من اللطف والتوفيق للهدى والعلم والإيمان، والتيسير لليسرى، وتجنبيهم العسرى. فللكاتب أن قواعد التفسير في القواعد الحسان مطابقة بتفسير القرءآن في تيسير الكريم الرحمن التفسير السعدي للشيخ عبد الرحمن السعدي.

## ب. قواعد القرءآن للعام.

١. وفي علم الكلام ان العقيدة الإسلامية لا يقبل فيها الا اليقين أما الشك فغير مقبول مطلقا. وقد قدم الشيخ التوحيد تقسيما بسيطا لسهولة الفهم فقط، وإنما التوحيد في أساس فهمه ومعناه لا يجزأ إلى ثلاثة أقسام منها التوحيد الربوبية، ويقصد به إفراد الله بأفعاله. كثير في القرءآن ذكر ربوبية الله لعباده، ومتعلقها، ولولازمها، وفي القواعد الحسان أن ربوبية الله في القرءآن على نوعين: عامة وخاصة.

<sup>٦٢</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٤٢٠.

ربوبية عامة يدخل جميع المخلوقات: برها وفاجرها، بل مكلفوها وغير المكلفين حتى الجمادات، وهي أنه تعالى المنفرد بخلقها ورزقها وتديرها وإعطائها ما تحتاج إليه في بقائها، وحصول منافعها ومقاصدها والمقاصد منها. فهذه التربية لا يخرج عنها أحد.

والنوع الثاني: في تربية لأصفيائه وأوليائه، فيريهم بالوحي الذي ينزل لهم بغيث العلم ويهديهم إلى الإيمان، ويوفقهم لتكميله ويكملهم بالأخلاق الجميلة، ويدفع عنهم الأخلاق الرذيلة، ويسرهم لليسرى ويجنبهم للعسرى، وحققتها: التوفيق لكل خير، والحفظ من كل شر، وإنالة المحبوبات العاجلة والآجلة، وصرف المكروهات العاجلة والآجلة.

فحيث أطلقت ربوبيته تعالى: فإن المراد بها المعنى الأول، مثل قوله تعالى (رب العالمين) و (هو رب كل شيء) ونحو ذلك.

وحيث فُيدت بما يحبه ويرضاه، أو وقع السؤال بها من الأنبياء وأتباعهم، فإن المراد بها النوع الثاني. وهو متضمن للمعنى الأول وزيادة؛ ولهذا تجد أسئلة الأنبياء وأتباعهم في القرآن بلفظ الربوبية غالباً فإن مطالبهم كلها داخلية تحت ربوبيته الخاصة. فملاحظة هذا المعنى نافعة أعظم النفع للعبد.

ونظير هذا المعنى الجليل: أن الله أخبر في عدة آيات أن الخلق كلهم عباده وعبيده: (إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) <sup>٦٣</sup> فكلهم ممالئكه، وليس لهم من الملك والأمر شيء. ويخبر في بعض الآيات أن عباده بعض خلقه كقوله: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ

يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَاً<sup>٦٤</sup> ثم ذكر صفاتهم الجليلة. وكقوله: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)<sup>٦٥</sup>

وفي قراءة (عبدِهِ) وقوله: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)<sup>٦٦</sup>.

وقوله (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا)<sup>٦٧</sup> فالمراد بهذا النوع من قاموا بعبودية

الله، وأخلصوا له الدين على اختلاف طبقاتهم.

فالعبودية الأولى: يدخل فيها البر والفاجر.

والعبودية الثانية: صفة الأبرار. ولكنَّ الفرق بين الربوبية والعبودية: أن الربوبية وصف

الرب وفعله، والعبودية وصف العبيد وفعالهم.<sup>٦٨</sup>

وفسر الشيخ في تفسيره عن تلك الآيات مما يلي:

(رَبِّ الْعَالَمِينَ) الرب، هو المربي جميع العالمين - وهم من سوى الله - بخلقه إياهم،

وإعدادهم لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء.

فما بهم من نعمة، فمنه تعالى.

وتريبته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها

بقاؤهم في الدنيا.

<sup>٦٤</sup> الفرقان: ٦٣

<sup>٦٥</sup> الزمر: ٣٦

<sup>٦٦</sup> الإسراء: ١

<sup>٦٧</sup> البقرة: ٢٣

<sup>٦٨</sup> عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، القواعد الحسان لتفسير القرآن (الرياض: مكتبة الرشد،

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا (المعنى) هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة.

فدل قوله (رَبِّ الْعَالَمِينَ) على انفراده بالخلق والتدبير، والنعمة، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار.

وأما آية ١٦٣ في سورة الأنعام ففسرها الشيخ بما يلي:

(قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ) من المخلوقين (أُنْبِئِي رَبًّا) أي: يحسن ذلك ويليق بي، أن أتخذ غيره، مربيا ومدبرا والله رب كل شيء، فالخلق كلهم داخلون تحت ربوبيته، منقادون لأمره؟ ". فتعين علي وعلى غيري، أن يتخذ الله ربا، ويرضى به، وألا يتعلق بأحد من المرؤبين الفقراء العاجزين.<sup>٦٩</sup>

فأما المثالان هذان يقصدان في الربوبية العامة، وكلاهما مطابقتان مع القاعدة المذكورة في القواعد الحسان أن تفسيرهما موافق بما في القاعدة، بل يشرحها الشيخ في (رب العالمين) عن تقسيم الربوبية وآية أخرى قد فسرها الشيخ بأنه الخلق كلهم داخلون تحت ربوبيته. فالآيات بعدها لأمثال النوع الثاني يعنى الربوبية الخاصة يفسرها الشيخ بما تلي:

<sup>٦٩</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٣١٣

(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) أي: ذليلاً منقاداً، غير متعاص ولا ممتنع، الملائكة، والإنس، والجن وغيرهم، الجميع ممالك، متصرف فيهم، ليس لهم من الملك شيء، ولا من التدبير شيء، فكيف يكون له ولد، وهذا شأنه وعظمة ملكه؟<sup>٧٠</sup>

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا). العبودية لله نوعان: عبودية لربوبيته فهذه يشترك فيها سائر الخلق مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، فكلهم عبيد لله مربوبون مدبرون (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) وعبودية لألوهيته وعبادته ورحمته وهي عبودية أنبيائه وأوليائه وهي المراد هنا ولهذا أضافها إلى اسمه "الرحمن" إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله و لعباده.<sup>٧١</sup>

(الَّذِينَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا) أي: أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، وامتلأ أمره واحتجب نهيته، خصوصاً أكمل الخلق عبودية لربه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من ناوأه بسوء.<sup>٧٢</sup>

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). ينزه تعالى نفسه المقدسة ويعظمها لأن له

<sup>٧٠</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٥٨٦.

<sup>٧١</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٦٩٤.

<sup>٧٢</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٨٧٢.

الأفعال العظيمة والمنن الجسيمة التي من جملتها أن (أَسْرَى بِعَبْدِهِ) ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم<sup>٧٣</sup>

(وإن كنتم) معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه، مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فهاتنا أمر نصف، فيه الفيصلة بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم، لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتاب زعم أنه من عند الله، وقتلتم أنتم أنه تقوله وافتراه، فإن كان الأمر كما تقولون. وفي قوله: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ) إلى آخره، دليل على أن الذي يرجى له الهداية من الضلالة: (هو) الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فهذا إذا بين له الحق فهو حري بالتوفيق (٣) إن كان صادقا في طلب الحق. وأما المعاند الذي يعرف الحق ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه، لأنه ترك الحق بعد ما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه. وكذلك الشاك غير الصادق (٤) في طلب الحق، بل هو معرض غير مجتهد في طلبه، فهذا في الغالب أنه لا يوفق. وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم، دليل على أن أعظم أوصافه صلى الله عليه وسلم، قيامه بالعبودية، التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين. كما وصفه بالعبودية في مقام الإسراء، فقال: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) وفي مقام الإنزال، فقال: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ) . وفي قوله: (أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافا للمعتزلة، وفيها أيضا، أن الموحدون وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: (أَعَدَّتْ

<sup>٧٣</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٥٢٧.

لِلْكَافِرِينَ) فلو كان [عصاة الموحدين] يخلدون فيها، لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافا للخوارج والمعتزلة. وفيها دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه، وهو الكفر، وأنواع المعاصي على اختلافها.<sup>٧٤</sup>

فالأمثال الآيات من نوع الثاني مما سبق قد تدل على تطبيق الشيخ عن قواعده حيث يطبق الشيخ بتفسيره شرحا أن ليس لهم من الملك شيء، ولا من التدبير شيء، فوصفهم الله بأنهم (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده حيث أنهم أتى الله الرحمن. وأما آية في سورة السجدة خاصة الله في ربوبيته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فللكاتب أن التفسير السعدي عن هذا البحث مطابق مع النوع الثاني هو ربوبية خاصة.

٢. الإيمان يكون في مرتبة أعلى من الإسلام لأن من المسلمين يمكن أن يكون منافقا، ومن الجدير ذكره أنه يمكننا أن نعتبر كل مؤمن مسلما، لكن لا يمكن أن نعتبر كل مسلم مؤمن. لما كان الإيمان أصل لكل الخير والفلاح، ويفقده يفقد كل خير ديني ودنيوي وأخروي، أكثر الله من ذكره في القرءان: أمر به، ونهي عن ضده، ورغب فيه، وبين لأوصاف أهله، وما لهم من الجزاء الدنيوي والأخروي.

<sup>٧٤</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٤٣.

فأما إذا كان المقام مقامَ خطابٍ للمؤمنين بالأمر والنهي، أو مقامَ إثبات الأحكام  
الدينيّة بوصف الإيمان، فإنّها تتناول كل مؤمن، سواء كان متممًا لواجبات الإيمان وأحكامه،  
أو ناقصاً في شيءٍ منها.

وأما إذا كان المقام مقام مدح وثناء وبيان الجزاء الكامل للمؤمن: فإنّما المراد بذلك  
المؤمن حقاً الجامع لمعاني الإيمان.

وصف الله المؤمن في كتابه باعترافه وتصديقه بجميع عقائد الدين وإيراده ما يحبه الله  
ويرضاه، وبالعمل بما يحبه الله ويرضاه، وبترك جميع المعاصي، وبالمبادرة بالتوبة مما صدر منها،  
وبأن إيمانهم أثر في أخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم بالآثار الطيبة.

فوصف المؤمنين بالإيمان بالأصول الجامعة: وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه  
ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وأنهم يؤمنون بكل ما أتت به الرسل كلهم ويؤمنون  
بالغيب، ووصفهم بالسمع والطاعة، والانقياد ظاهراً وباطناً، ووصفهم بأنهم: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ  
الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ  
\* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا).<sup>٧٥</sup>

ووصفهم بأن جلودهم تقشعر، وعيونهم تفيض من الدمع، وقلوبهم تلين وتطمئن  
لآيات الله وذكره، وبأنهم يخشون ربهم بالغيب والشهادة، وأنهم يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة  
أنهم إلى ربهم راجعون.

ووصفهم بالخشوع في أحوالهم عموماً، وفي الصلاة خصوصاً وأنهم عن اللغو معرضون، وللزكاة فاعلون، ولفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم. وأنهم بشهاداتهم قائمون، ولأماناتهم وعهدهم مُراعون.

ووصفهم باليقين الكامل الذي لا ريب فيه، وبالجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

ووصفهم بالإخلاص لربهم في كل ما يأتون ويذرون.

ووصفهم بمحبة المؤمنين والدعاء لإخوانهم من المؤمنين السابقين واللاحقين، وأنهم مجتهدون في إزالة الغل من قلوبهم على المؤمنين، وبأنهم يتولون الله ورسوله وعباده المؤمنين، ويتبرؤون من موالاة جميع أعداء الدين، وبأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويطيعون الله ورسوله في كل أحوالهم.

فجمع الله لهم بين العقائد الحقة واليقين الكامل، والإنابة التامة التي آثارها الانقياد لفعل المأمورات وترك المنهيات، والوقوف على الحدود الشرعية.

فهذه الأوصاف الجليلة هي وصف المؤمن المطلق الذي سلم من العقاب، واستحق الثواب، ونال كل خير رُتّب على الإيمان.

فإن الله رتب على الإيمان في كتابه من الفوائد والثمرات ما لا يقل عن مائة فائدة، كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها.

رتب على الإيمان نيل رضاه الذي هو أكبر من كل شيء، ورتب عليه دخول الجنة والنجاة من النار، والسلامة من عذاب القبر ومن صعوبات القيامة وتعثر أحوالهم، والبشرى

الكاملة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والثبات في الدنيا على الإيمان والطاعات وعند الموت وفي القبر على الإيمان والتوحيد والجواب النافع السديد، ورتب عليه الحياة الطيبة في الدنيا والرزق والحسنة وتيسيره العبد ليسرى وتجنبيه عن العسرى، وطمأنينة القلوب وراحة النفوس والقناعة التامة، وصلاح الأحوال، وصلاح الذرية، وجعلهم قرة عين للمؤمن، والصبر عند المحن والمصائب.

وحمل الله عنهم الأثقال، ومدافعة الله عنهم جميع الشرور، والنصر على الأعداء، ورفع المؤاخذة عن الناسي والجاهل والمخطئ منهم، وأن الله قد وضع عنهم الآصار والأغلال ولم يحملهم ما لا طاقة لهم فيه، ومغفرة الذنوب بإيمانهم والتوفيق للتوبة.

فالإيمان أكبر وسيلة للقرب من الله والقرب من رحمته، ونيل ثوابه، وأكبر وسيلة لمغفرة الذنوب، وإزالة الشدائد أو تخفيفها.

وثمرات الإيمان على وجه التفصيل كثيرة، وبالجملة خيرات الدنيا والآخرة مرتبة على الإيمان، كما أن الشرور مرتبة على فقده.<sup>٧٦</sup>

وفسرها الشيخ في تفسيره يشرح بما يلي:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان.

(الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله

تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب.

<sup>٧٦</sup> عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، القواعد...، ٨٣-٨٥

(وَإِذَا تُلِّيتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلون، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة ربهم، أو وجلا من العقوبات، وازدجارا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان. (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ) وحده لا شريك له (يَتَوَكَّلُونَ) أي: يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك. والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به.<sup>٧٧</sup>

(وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) بخير الدنيا والآخرة، والمحبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده، ثم ذكر صفات المحبتين فقال: (الَّذِينَ إِذَا دُكِّرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أي: خوفا وتعظيما، فتركوا لذلك المحرمات، لخوفهم ووجلهم من الله وحده، (وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ) من البأساء والضراء، وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخط لشيء من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم، محتسبين ثوابه، مرتقبين أجره، (وَالْمُؤِمِّنِينَ الصَّلَاةِ) أي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة، بأن أدوا اللازم فيها والمستحب، وعبوديتها الظاهرة والباطنة، (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) وهذا يشمل جميع النفقات الواجبة، كالزكاة، والكفارة، والنفقة على الزوجات والمماليك، والأقارب، والنفقات المستحبة، كالصدقات بجميع وجوهها، وأتي بـ (من) المفيدة للتبويض، ليعلم سهولة ما أمر الله به ورغب فيه، وأنه جزء يسير مما رزق الله، ليس

<sup>٧٧</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٣٥٧.

للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فيا أيها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله، ينفق الله عليك، ويزدك من فضله.<sup>٧٨</sup>

وفي الآيتين مما سبق قد فسر الشيخ بتفسير غير اختلاف بقاعدته، يزداد الشيخ شرحاً عن ذكر الأوصاف الجامعة التي وصف الله بها المؤمن في القرآن، يعني وجلت قلوبهم أي خافت ورهبت و يلقون للقرآن السمع ويحضرون قلوبهم معنى كانوا يجهلونهم وهم يتوكلون أي يعتمدون في قلوبهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية وهم المخبتين أي الخاضعين لربه ومستلمين لأمره ومتواضعين لعباده خوفاً وتعظيماً له وصابرين من البأس والضراء وأنواع الأذى وغير ذلك. إذا فللكاتب أن التفسير السعدي مطابق بقاعدة القرآن للعام في القواعد الحسان لتفسير القرآن.

### ج. القاعدة الفقه.

القاعدة الثانية هي العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، وهذه القاعدة نافعة جداً، بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير وعلم غزير، وبإهمالها وعدم ملاحظتها يفوته علم كثير، ويقع الغلط والارتباك الخطير.

وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم، فمتى راعت القاعدة حق الرعاية وعرفت أن ما قاله المفسرون من أسباب النزول إنما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ، وليست

<sup>٧٨</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٦٣٤.

معاني الألفاظ والآيات مقصورةً عليها. فقولهم: نزلت في كذا وكذا، معناه: أن هذا مما يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها، فإن القرءآن . كما تقدم . إنما نزل لهداية أول الأمة وآخرها، حيث تكون وأنى تكون.

والله تعالى قد أمرنا بالتفكر والتدبر لكتابه، فإذا تدبرنا الألفاظ العامة، وفهمنا أن معناها يتناول أشياء كثيرة، فلاي شيء نخرج بعض هذه المعاني، مع دخول ما هو مثلها ونظيرها فيها<sup>٧٩</sup> ؟ ولهذا قال ابن مسعود . رضي الله عنه " إذا سمعت الله يقول: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ) فأرעה سمعك، فإنه إما خير تُؤمر به، وإما شر تُنهى عنه " .

فمتى مر بك خبر عن صفات الله وأسمائه، وعما يستحقه من الكمال، وما يتنزه عنه من النقص . فأثبت له جميع ذلك المعنى الكامل الذي أثبتته سبحانه لنفسه ونزّهه عن كل ما نزه نفسه عنه، وكذلك إذا مر بك خبر عن رسله وكتبه واليوم الآخر، وعن جميع الأمور السابقة واللاحقة، فاجزم جزماً لا شك فيه أنه حق على حقيقته، بل هو أعلى أنواع الحق والصدق، قیلاً وحديثاً. وإذا أمر بشيء نظرت إلى معناه، وما يدخل فيه وما لا يدخل، وعلمت أن ذلك الأمر موجه إلى جميع الأمة، وكذلك في النهي.

<sup>٧٩</sup> قال الشيخ ابن عثيمين " الأصل أن العام شامل لجميع أفرادها، قال العلماء: وصورة السبب قطعية الدخول وما عداها فدخولها ظني، العام يشمل صوراً متعددة، فصورة السبب التي نزلت الآية من أجلها قطعية الدخول. مثال: المرأة التي اشتكت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام زوجها قطعية الدخول في آية الظهار في سورة المجادلة، وظهار غيرها ظني الدخول في الآية لاحتمال أن لا يراد بالعموم جميع أفرادها لكن الحكم يشملها إما بالعموم اللفظي الصحيح وإما بالعموم المعنوي وهو القياس لعدم الفارق " انتهى بتصرف.

ولهذا كانت معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله أصل كل الخير والفلاح، والجهل بذلك أصل كل الشر والخسران.

فمراعاة هذه القاعدة أكبر عوناً على معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله و القيام بها. والقرءان قد جمع أجل المعاني وأنفعها وأصدقها بأوضح الألفاظ وأحسنها كما قال تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) (الفرقان: ٣٣).<sup>٨٠</sup>

وأما آيات التي تحيط بهذا البحث مع تفسيره في تيسير الكريم الرحمن فكما تلى:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ: يخبر تعالى عن سؤالهم عن الحيض، وهل تكون المرأة بحالها بعد الحيض، كما كانت قبل ذلك، أم تجتنب مطلقاً كما يفعله اليهود؟.

فأخبر تعالى أن الحيض أذى، وإذا كان أذى، فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى وحده، ولهذا قال: (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) أي: مكان الحيض، وهو الوطء في الفرج خاصة، فهذا هو المحرم إجماعاً، وتخصيص الاعتزال في الحيض، يدل على أن مباشرة الحائض وملامستها، في غير الوطء في الفرج جائز.

<sup>٨٠</sup> عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، القواعد...، ١١-١٢.

لكن قوله: (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السرة والركبة، ينبغي تركه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حيض، أمرها أن تتزر، فبإشهرها.

وحد هذا الاعتزال وعدم القربان للحَيْض (حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) أي: ينقطع دمهن، فإذا انقطع الدم، زال المنع الموجود وقت جريانه، الذي كان لعله شرطان، انقطاع الدم، والاعتسال منه. فلما انقطع الدم، زال الشرط الأول وبقي الثاني، فلماذا قال: (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ) أي: اغتسلن (فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) أي: في القبل لا في الدبر، لأنه محل الحرث.

وفيه دليل على وجوب الاعتسال للحائض، وأن انقطاع الدم، شرط لصحته. ولما كان هذا المنع لطفاً منه تعالى بعباده، وصيانة عن الأذى قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ) أي: من ذنوبهم على الدوام (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) أي: المنتزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث.

ففيه مشروعية الطهارة مطلقاً، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقاً، شرطاً لصحة الصلاة والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة.<sup>٨١</sup> البقرة ٢٢٢.

وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)

<sup>٨١</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ١٠٩.

(وَسَيُحِبُّهَا الْأَتَقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) بأن يكون قصده به تركية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصداً به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب.

(وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) أي: ليس لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تجزى إلا وقد كافأه بها، (ص: ٩٢٨) وربما بقي له الفضل والمنة على الناس، فتمحض عبداً لله، لأنه رقيق إحسانه وحده، وأما من بقي عليه نعمة للناس لم يجزها ويكافئها، فإنه لا بد أن يترك للناس، ويفعل لهم ما ينقص (إخلاصه).

وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل قد قيل إنها نزلت في سببه، فإنه - رضي الله عنه - ما لأحد عنده من نعمة تجزى، ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي (نعمة) الدعوة إلى دين الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى.<sup>٨٢</sup>

فالآية الأولى لها سبب نزوله من رواية أنس بن مالك يعني: وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاصَتْ

<sup>٨٢</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ١١١٥.

الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ)<sup>٨٣</sup> إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ»<sup>٨٤</sup> فهذا مأخوذ الحكم عن الحائض لجميع المسلمات دون اليهود فقط، كما فسر الشيخ عن هذه الآية قبله أن يخبر تعالى عن سؤالهم عن المحيض، وهل تكون المرأة بحالها بعد الحيض، كما كانت قبل ذلك، أم تجتنب مطلقا كما يفعله اليهود؟. فإن هذا لجميع المسلمات.

فالأية الثانية نزلت على أبي بكر الصديق ولكن الجمهور قد اتفقوا عن هذه الآية لجميع المسلمين الذى ينفق ماله فى سبيل الله لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. كما فسرها الشيخ فى تفسيره "وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه، بل قد قيل إنها نزلت فى سببه، فإنه -رضي الله عنه- ما لأحد عنده من نعمة تجزى، حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي (نعمة) الدعوة إلى دين الإسلام،" يعنى أن هذه الآية نزلت لجميع المسلمين الذى ينفق ماله فى سبيل الله وان كانت متناولة لأبي بكر وإنما نزلت فى سببه تجزى من نعمة إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها . إذا يستنبط الكاتب أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مطابقة بتفسيره الشيخ عبد الرحمن السعدي.

#### د. اللطائف و الفوائد فى القرآن

<sup>٨٣</sup> البقرة: ٢٢٢

<sup>٨٤</sup> مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.س) ج. ١، ٢٤٦.

يرشد الله عباده في كتابه من جهة العمل إلى قصر نظرهم على الحالة الحاضرة التي هم فيها، ومن جهة الترغيب في الأمر والترهيب من ضده إلى ما يترتب عليها من المصالح، ومن جهة النعم إلى النظر إلى ضدها. وهذه القاعدة الجليلة دعا إليها القرءان في آيات عديدة، وهي من أعظم ما يدل على حكمة الله، ومن أعظم ما يرقى العاملين إلى كل خير ديني ودنيوي، فإن العامل إذا اشتغل بعمله الذي هو وظيفة وقته، فإن قصر فكره وظاهره وباطنه عليه بنجح، ويتم له الأمر بحسب حاله.

وإن نظر وتشوقت نفسه إلى أعمال أخرى لم يحن وقتها بعد فترت عزيمته، وانحلت همته وصار نظره إلى الأعمال الأخرى ينقص من إتقان عمله الحاضر وجمع المهمة عليه.

ثم إذا جاءت وظيفة العمل الآخر جاءه وقد ضعفت همته وقل نشاطه، وربما كان الثاني متوقفاً على الأول في حصوله أو تكميله، فيفوت الأول والثاني، بخلاف من جمع قلبه وقلبه، وصار أكبر همه هو القيام بعمله الذي هو وظيفة وقته؛ فإنه إذا جاء العمل الثاني فإذا هو قد استعد له بقوة ونشاط ويتلقاه بشوق، وصار قيامه بالأول معونة على قيامه بالثاني.

ومن هذا: قوله تعالى مصرحاً بهذا المعنى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً).<sup>٨٥</sup>

فانظر كيف حالهم الأولى وأمنيتهم وهم مأمورين بكف الأيدي، فلما جاء العمل الثاني ضعفوا عنه كل الضعف.

<sup>٨٥</sup> النساء: ٧٧.

ونظير هذا ما عاتب الله به أهل أحد في قوله: (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)،<sup>٨٦</sup> وقد كشف هذا المعنى كل الكشف قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا) ، (النساء: ٦٦) ، لأن فيه تكمياً للعمل الأول، وتثبيتاً من الله، وتمرناً على العمل الثاني.

ونظيره قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعَقَبَهُمُ نِقَاحًا فِي قُلُوبِهِمْ) ، (التوبة: ٧٥/٧٧) ، . فالله أرشد العباد أن يكونوا أبناء وقتهم، وأن يقوموا بالعمل الحاضر ووظيفته، ثم إذا جاء العمل الآخر صار وظيفة ذلك الوقت، فاجتمعت المهمة والعزيمة الصادقة عليه، وصار القيام بالعمل الأول معيناً على الثاني، وهذا المعنى في القرءآن كثير.

وأما الأمور المتأخرة فإن الله يرشد العاملين إلى ملاحظتها لتقوى همهم على العمل المثمر للمصالح والخيرات. وهذا كالتريغيب المتنوع من الله على أعمال الخير، والترهيب من أفعال الشر، بذكر عقوباتها، وثمرتها الدميمة.

فاعرف الفرق بين النظر إلى العمل الآخر الذي لم يجرى وقته، وبين النظر إلى ثواب العمل الحاضر الذي كلما فترت همة صاحبه، وتامل ما يترتب عليه من الخيرات استجد نشاطه، وقوي عليه

وهانت عليه مشقته، كما قال تعالى: (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ).<sup>٨٧</sup>

وأما إرشاده من جهة النعم التي على العبد من الله بالنظر إلى ضدها ليعرف قدرها، ويزداد شكره لله تعالى عليها، ففي القرءان منه كثير، يُذكر عباده نعمته عليهم بالدين والإسلام وما ترتب على ذلك من النعم، كقوله في سورة آل عمران: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)،<sup>٨٨</sup> وفي قوله في سورة آل عمران: (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)،<sup>٨٩</sup> أي إلى الزيادة لشكر نعم الله.

وقوله في سورة الأنفال: (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ، (لأنفال: ٢٦) ، .  
 وقوله في سورة القصص: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... )،<sup>٩٠</sup> إلى آخر الآيات، حيث يذكرهم أن ينظروا إلى ضد ما هم فيه من النعم والخير، ليعرفوا قدر ما هم فيه منها.

<sup>٨٧</sup> النساء: ١٠٤

<sup>٨٨</sup> آل عمران: ١٦٤

<sup>٨٩</sup> آل عمران: ١٠٣

<sup>٩٠</sup> القصص: ٧٢.

وهذا الذي أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال: " انظروا إلى من هو أسفل

منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم "

وقوله تعالى: (فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)،<sup>٩١</sup> وقوله: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ

ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) ، (الضحى: ٨/٦) ، إلى آخرها.<sup>٩٢</sup>

وفسر الشيخ الآيات المذكورة قبلها مما يلي منها:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ

إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً.<sup>٩٣</sup>

كان المسلمون - إذ كانوا بمكة - مأمورين بالصلاة والزكاة أي: مواساة الفقراء، لا الزكاة

المعروفة ذات النصب والشروط، فإنها لم تفرض إلا بالمدينة، ولم يؤمروا بجهاد الأعداء لعدة فوائد:

منها: أن من حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه لا يشق [ص: ١٨٨] عليهم؛

ويبدأ بالأهم فالأهم، والأسهل فالأسهل.

ومنها: أنه لو فرض عليهم القتال - مع قلة عددهم وعددهم وكثرة أعدائهم - لأدى ذلك إلى

اضمحلال الإسلام، فروعياً بجانب المصلحة العظمى على ما دونها ولغير ذلك من الحكيم.

وكان بعض المؤمنين يودون أن لو فرض عليهم القتال في تلك الحال، غير اللائق فيها ذلك،

وإنما اللائق فيها القيام بما أمروا به في ذلك الوقت من التوحيد والصلاة والزكاة ونحو ذلك كما قال

<sup>٩١</sup> الأعراف: ٦٩.

<sup>٩٢</sup> عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، القواعد...، ١١١-١١٣.

<sup>٩٣</sup> النساء: ٧٧.

تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيئًا} فلما هاجروا إلى المدينة وقوي الإسلام، كُتِبَ عليهم القتال في وقته المناسب لذلك، فقال فريق من الذين يستعجلون القتال قبل ذلك خوفا من الناس وضعفا وخورا.<sup>٩٤</sup>

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيئًا.<sup>٩٥</sup>

يخبر تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، ويزداد حمداً وشكراً لربه.

ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي: ما وُطِّفَ عليهم في كل وقت بحسبه، فبدلوا همهمهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط.

ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور:

<sup>٩٤</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ١٨٧.

<sup>٩٥</sup> النساء: ٦٦

(أحدها) الخيرية في قوله: {لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ} أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم

من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده.

(الثاني) حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من

الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي يكرهها العبد. فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر. فينزل عليه

معوونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر.<sup>٩٦</sup>

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ

أَفَلَا تَسْمَعُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ

بَلَيَالٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ.<sup>٩٧</sup>

هذا امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم

من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعاشهم في ضيائه، والليل ليهدأوا فيه

ويسكنوا، وتستريح أبادهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده.<sup>٩٨</sup>

<sup>٩٦</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ١٨٥.

<sup>٩٧</sup> القصص: ٧١-٧٢.

<sup>٩٨</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٦٢٣.

فالأمثال الذي مما سبق يدل على تفسيره الشيخ مطابقة بقواعده منها أنهم يكفون أيديهم

للقتال كما فسر الشيخ في تفسيره منها:

١. من جهة العمل إلى قصر نظرهم على الحالة الحاضرة: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا

أَيْدِيَكُمْ...، كيف حالهم الأولى وأمنيتهم وهم مأمورين بكف الأيدي، فلما جاء

العمل الثاني ضعفوا عنه كل الضعف. كما فسرهما الشيخ أنها فوائد:

منها: أن من حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه لا يشق

[ص: ١٨٨] عليهم؛ ويبدأ بالأهم فالأهم، والأسهل فالأسهل.

ومنها: أنه لو فرض عليهم القتال -مع قلة عددهم وعددهم وكثرة أعدائهم-

لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام، فروعى جانب المصلحة العظمى على ما دونها ولغير

ذلك من الحكيم.

كما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا}

فلما هاجروا إلى المدينة وقوي الإسلام، كُتِبَ عليهم القتال في وقته المناسب لذلك، فقال

فريق من الذين يستعجلون القتال قبل ذلك خوفا من الناس وضعفا وخورا.

٢. من جهة الترغيب في الأمر والترهيب من ضده إلى ما يترتب عليها من المصالح: وَلَوْ أَنَّا

كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ...، كما فسرهما الشيخ أن يخبر

تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من

الديار. وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات،

لتخفف عليه العبادات، ويزداد حمداً وشكراً لربه.

ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي: ما وُظف عليهم في كل وقت بحسبه، فبدلوا همهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط.

٣. من جهة النعم إلى النظر إلى ضدها: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا...، كما فسرها الشيخ هذا امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعاشهم في ضيائه، والليل ليهدأوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده.<sup>٩٩</sup>

فمما سبق، يستنبط الكاتب أن القواعد مطابقة ومتفقة بتفسيره.

#### هـ. القواعد اللغوية.

١. إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام دلت على العموم

<sup>٩٩</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٦٢٣.

كقوله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) ١٠٠ فإنه نهي عن الشرك به في

النيات، والأقوال والأفعال، وعن الشرك الأكبر، والأصغر والخفي، والجلي. فلا يجعل العبد لله نداً ومشاركاً في شيء من ذلك.

ونظيرها قوله: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا). ١٠١

وقوله في وصف يوم القيامة: (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا)، ١٠٢ يعم كل نفس،

وأنها لا تملك شيئاً من الأشياء، لأي نفس أخرى، مهما كانت الصلة، لا إيصال شيء من المنافع، ولا دفع شيء من المضار.

وكقوله تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ

لِفَضْلِهِ)، ١٠٣ فكل ضر قدره الله على العبد ليس في استطاعة أحد من الخلق كائناً من كان كشفه بوجه من الوجوه.

ونهاية ما يقدر عليه المخلوق من الأسباب والأدوية: إنما هو جزء من أجزاء كثيرة

داخلة في قضاء الله وقدره.

---

١٠٠ النساء: ٣٦

١٠١ البقرة: ٢٢

١٠٢ الانقطار: ١٩

١٠٣ يونس: ١٠٧

وقوله: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ)<sup>١٠٤</sup> وقوله (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)<sup>١٠٥</sup> يشمل كل خير في العبد ويصيب العبد، وكل نعمة فيها حصول محبوب، أو دفع مكروه، فإن الله هو المنفرد بذلك وحده.

وقوله (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرِزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)<sup>١٠٦</sup>، وإذا دخلت (من) صارت نصاً في العموم كهذه الآية: (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)<sup>١٠٧</sup>

وقوله (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)<sup>١٠٨</sup>، ولها أمثلة كثيرة جداً.<sup>١٠٩</sup>

وقد فسر الشيخ بتلك الآيات مما يلي:

أمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رق عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه، محبة وذلاً وإخلاصاً له، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة.

وينهى عن الشرك به شيئاً لا شركاً أصغر ولا أكبر، لا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل الواجب المطيعين إخلاص العبادات لمن له الكمال المطلق من جميع الوجود، وله التدبير

---

<sup>١٠٤</sup> فاطر: ٢

<sup>١٠٥</sup> النحل: ٥٣

<sup>١٠٦</sup> فاطر: ٣

<sup>١٠٧</sup> الحاقة: ٤٧

<sup>١٠٨</sup> الأعراف: ٥٩

<sup>١٠٩</sup> عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، القواعد...، ١٦-١٧.

الكامل الذي لا يشركه ولا يعينه عليه أحد. ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بحقه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب.<sup>١١٠</sup>

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا) ولو كانت لها قريبة (أو حبيبة) مصافية، فكل مشتغل بنفسه لا يطلب الفكاك لغيرها. (وَالأَمْرُ يُؤَمَّرُ لِلَّهِ) فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم حقه من ظالمه<sup>١١١</sup>

(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

هذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذا مس بضر، كفقير ومرض، ونحوها (فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) لأن الخلق، لو اجتمعوا على أن ينفعوا بشيء، لم ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا على أن يضروا أحدا، لم يقدروا على شيء من ضرره، إذا لم يردده الله، ولهذا قال: (وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) أي: لا يقدر أحد من الخلق، أن يرد فضله وإحسانه، كما قال تعالى: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ، فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ)

<sup>١١٠</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ١٨٧

<sup>١١١</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ١٠٩٩

(يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) أي: يختص برحمته من شاء من خلقه، والله ذو الفضل العظيم، (وَهُوَ الْعَفُورُ) لجميع الزلات، الذي يوفق عبده لأسباب مغفرته، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه، كبارها، وصغارها.

(الرَّحِيمُ) الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات، بحيث لا تستغنى عن إحسانه، طرفة عين، فإذا عرف العبد بالدليل القاطع، أن الله، هو المنفرد بالنعمة، وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف السيئات والكربات، وأن أحداً من الخلق، ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.<sup>١١٢</sup>

(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ) من رحمته عنهم (فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) فهذا يوجب التعلق بالله تعالى، والافتقار إليه من جميع الوجود، وأن لا يدعى إلا هو، ولا يخاف ويرجى، إلا هو. (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذي قهر الأشياء كلها (الْحَكِيمُ) الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها.<sup>١١٣</sup>

(وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ) ظاهرة وباطنة (فَمَنْ اللَّهُ) لا أحد يشركه فيها،<sup>١١٤</sup> وقوله: (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) أي: لو أهلكه، ما امتنع هو بنفسه، ولا قدر أحد أن يمنع من عذاب الله.<sup>١١٥</sup>

<sup>١١٢</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٤٢٨.  
<sup>١١٣</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٨٢٠.  
<sup>١١٤</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٥١٣.  
<sup>١١٥</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ١٠٦٤.

(مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) لأنه الخالق الرازق المدبّر لجميع الأمور، وما سواه مخلوق

مدبّر، ليس له من الأمر شيء، ثم خوفهم إن لم يطيعوه عذاب الله<sup>١١٦</sup>.

فسرها الشيخ: لا تشركوا (فعل النهي) به شيئاً (النكرة) ينهى عن الشرك به شيئاً لا

شركاً أصغر ولا أكبر، لا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون

لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً كما شرح الشيخ في قواعد الحسان: فإنه

نهى عن الشرك به في النيات، والأقوال والأفعال، وعن الشرك الأكبر، والأصغر والخفي،

والجلي. فلا يجعل العبد لله نداً ومشاركاً في شيء من ذلك. والآخر كذلك أيضاً. وآية: وإن

(الشرط) بمسك الله بضر (النكرة)، فسر الشيخ كفقير ومرض، ونحوها. لان إذا وقعت النكرة

في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام دلت على العموم. فيستنبط الكاتب ان

التفسير السعدي مطابق بقواعد الحسان لتفسير القرءآن.

٢ . الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما

دخلت عليه.

وقد نص على ذلك أهل الأصول وأهل العربية، واتفق على اعتبار ذلك أهل العلم

والإيمان. فمثل قوله تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى

. أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)<sup>١١٧</sup> يدخل في هذه الأوصاف كل ما تناوله من معاني

الإسلام والإيمان والقنوت والصدق إلى آخرها. وأن بكمال هذه الأوصاف يكمل لصاحبها

<sup>١١٦</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٣٢٧.

<sup>١١٧</sup> الأحزاب: ٣٥

ما رتب عليها من المغفرة والأجر العظيم، وبنقصانها ينقص، وبعدها يفقد، وهكذا كل وصف رتب عليه خير وأجر وثواب، وكذلك ما يقابل ذلك كل وصف نهي الله عنه ورتب عليه وعلى المتصف به عقوبة وشرّاً ونقصاً، يكون له من ذلك بحسب ما قام به من الوصف المذكور، وكذلك مثل قوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً)،<sup>١١٨</sup> عام لجنس الإنسان.

فكل إنسان هذا وصفه إلا من استثنى الله بقوله: (إِلَّا الْمُصَلِّينَ)<sup>١١٩</sup> إلى آخرها كما أن قوله: (وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)<sup>١٢٠</sup> دال على أن كل إنسان عاقبته ومآله إلى الخسار (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)<sup>١٢١</sup> وأمثال ذلك كثير.

وأعظم ما تعتبر به هذه القاعدة: في الأسماء الحسنى، فإن في القرءان منها شيئاً كثيراً، وهي من أجل علوم القرءان بل هي المقصد الأول للقرءان.

فمثلاً يخبر الله عن نفسه: أنه الرب الحي القيوم، وأنه الملك والعليم والحكيم، والعزیز والرحيم، والقدوس السلام، والحميد المجيد. فالله هو الذي له جميع معاني الربوبية التي يستحق أن يؤله لأجلها وهي صفات الكمال كلها، والمحامد كلها له، والفضل كله، والإحسان كله، وأنه لا يُشارك الله أحد في معنى من معاني الربوبية (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)<sup>١٢٢</sup>

<sup>١١٨</sup> المعارج: ١٩-٢١

<sup>١١٩</sup> المعارج: ٢٢

<sup>١٢٠</sup> العصر: ١-٢

<sup>١٢١</sup> العصر: ٣

<sup>١٢٢</sup> الشورى: ١١

لا بشر ولا ملك، بل هم جميعاً عبيد مريوبون لربهم بكل أنواع الربوبية، مقهورون خاضعون لجلاله وعظمته، فلا ينبغي أن يكون أحد منهم نداً، ولا شريكاً لله في عبادته وإلهيته، فبربوبيته سبحانه يربي الجميع من ملائكة وأنبياء وغيرهم: خلقاً ورزقاً وتدبيراً وإحياء وإماتة، وهم يشكرونه على ذلك بإخلاص العبادة كلها له وحده، فيؤلهونه ولا يتخذون من دونه ولياً ولا شفيعاً، فالإلهية حق له سبحانه على عبادته بصفة ربوبيته، وأنه الملك الذي له جميع معاني الملك، وهو الملك الكامل والتصرف النافذ، وأن الخلق كلهم ممالك لله، عبيد تحت أحكام ملكه القدريّة والشرعية والجزائية، وأنه العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي أحاط علمه بالبوطن والظواهر والخفيات والجليات والواجبات والمستحيلات، والجاترات.

والأمور السابقة واللاحقة والعالم العلوي والسفلي والكيليات والجزئيات. وما يعلم الخلق وما لا يعلمون (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)<sup>١٢٣</sup> وأنه الحكيم الذي له الحكمة التامة الشاملة لجميع ما قضاه وقدره وخلقاه، وجميع ما شرعه لا يخرج عن حكمته، لا مخلوق ولا مشروع، وأنه العزيز الذي له جميع معاني العزة على وجه الكمال التام من كل وجه، عزة القوة وعزة الامتناع، وعزة القهر والغلبة، وأن جميع الخلق في غاية الذل ونهاية الفقر، ومنتهى الحاجة والضرورة إلى ربهم، وأنه الرحمن الرحيم الذي له جميع معاني الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء، ولم يخل

مخلوق من إحسانه وبره طرفة عين. تبلغ رحمته حيث يبلغ علمه رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا (غافر: ٧) وأنه القدوس السلام، المعظم المنزه عن كل عيب وآفة ونقص، وعن مماثلة أحد، وعن أن يكون له ند من خلقه.

وهكذا بقية الأسماء الحسنى، اعتبرها بهذه القاعدة الجليلة يفتح لك باب عظيم من أبواب معرفة الله، بل أصل معرفة الله تعالى معرفة ما تحتوي عليه أسماءه الحسنى، وتقتضيه من المعاني العظيمة، بحسب ما يقدر عليه العبد، وإلا فلن يبلغ علم أحد من الخلق بذلك، ولن يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أتى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)،<sup>١٢٤</sup> يشمل جميع أنواع البر والخير، وتشمل التقوى جميع ما يجب اتقاؤه من أنواع المخوفات والمعاصي والمحرمات. والإثم: اسم جامع لكل ما يؤثم، ويوقع في المعصية. كما أن العدوان: اسم جامع يدخل فيه جميع أنواع التعدي على الناس في الدماء والأموال والأعراض، والتعدي على مجموع الأمة، وعلى الحكومات والتعدي على حدود الله.

و"المعروف" في القرءآن: اسم جامع لكل ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً، وعكسه: المنكر والسوء والفاحشة.

وقد نبه النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته إلى هذه القاعدة، وأرشدهم إلى اعتبارها إذ علمهم أن يقولوا في التشهد في الصلاة: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) فقال:

(فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح من أهل السماء والأرض) (رواه

البخاري)

وأمثلتها في القرءآن كثيرة جداً. ١٢٥

فأما في تيسير الكريم الرحمن فيشرح الشيخ عن تلك الآيات كما تلى:

فقال: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) وهذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائمين بها.

(وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) وهذا في الأمور الباطنة، من عقائد القلب وأعماله.

(وَالْقَانِتِينَ) أي: المطيعين لله ولرسوله (وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ) في مقالهم وفعالهم

(وَالصَّادِقَاتِ) (وَالصَّابِرِينَ) على الشدائد والمصائب (وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَاشِعِينَ) في جميع

أحوالهم، خصوصاً في عباداتهم، خصوصاً في صلواتهم، (وَالْحَاشِعَاتِ) (وَالْمُتَّصِدِّقِينَ) فرضاً

ونفلاً (وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ) شمل ذلك، الفرض والنفل. (وَالْحَافِظِينَ

فُرُوجَهُمْ) عن الزنا ومقدماته، (وَالْحَافِظَاتِ) (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا) أي: [في أكثر الأوقات،

خصوصاً أوقات الأوراد المقيدة، كالصباح والمساء، وأدبار الصلوات المكتوبات (وَالذَّاكِرَاتِ)

(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ) أي: لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، التي

هي، ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر،

وما بين أفعال الخير، وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه،

بالإسلام والإيمان والإحسان.

١٢٥ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ١٣-١٥.

فجازاهم على عملهم " بِالْمَعْفِرَةِ " لذنوبهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات. (وَأَجْرًا عَظِيمًا) لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم.<sup>١٢٦</sup>

وهذا الوصف للإنسان من حيث هو وصف طبيعته الأصلية، أنه هلوع. وفسر الهلوع بأنه: (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا) فيجزع إن أصابه فقر أو مرض، أو ذهاب محبوب له، من مال أو أهل أو ولد، ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضى الله. (وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) فلا ينفق مما آتاه الله، ولا يشكر الله على نعمه وبره، فيجزع في الضراء، ويمنع في السراء.

(إِلَّا الْمُصَلِّينَ) الموصوفين بتلك الأوصاف فإنهم إذا مسهم الخير شكروا الله، وأنفقوا مما خولهم الله، وإذا مسهم الشر صبروا واحتسبوا.<sup>١٢٧</sup> قسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح.

والخسار مراتب متعددة متفاوتة:

قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق

الجحيم.

<sup>١٢٦</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٤٩٧.

<sup>١٢٧</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ١٠٦٦.

وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان،

إلا من اتصف بأربع صفات:

الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم

إلا به. ١٢٨

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته،

ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسمائه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال

وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثلته شيء،

لانفراده وتوحيده بالكمال من كل وجه. (وَهُوَ السَّمِيعُ) لجميع الأصوات، باختلاف اللغات،

على تفنن الحاجات. (الْبَصِيرُ) يرى ديبب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة

الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان

الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي

مماثلة المخلوقات. وفيها رد على المشبهة في قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وعلى المعطلة في قوله:

(وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ١٢٩ الشوري ١١.

شرح الشيخ في قواعده منها أن الله وصف المُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ أى وهذا في

الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائمين بها، وغير هم كما شرح الشيخ أن بكمال هذه الأوصاف

١٢٨ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ١٠٦٦.

١٢٩ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٩٠٨.

يكمل لصاحبها ما رتب عليها من المغفرة والأجر العظيم، وبنقصانها ينقص، وبعدها يفقد، وهكذا كل وصف رتب عليه خير وأجر وثواب، وكذلك فسر الشيخ الآية (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ) أي: لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، التي هي، ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر، وما بين أفعال الخير، وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان. فجازاهم على عملهم " بِالْمَغْفِرَةِ " لذنوبهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات. (وَأَجْرًا عَظِيمًا) لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم.<sup>١٣٠</sup> فالألف و الام فيها تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه، وكذلك الإنسان وغير ذلك. فيستنبط الكاتب أن القاعدة الثانية من قواعد الحسان قد طبق الشيخ في تفسيره.

إذا يستنبط الكاتب باستناد على التفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان مع القواعد الحسان لتفسير القرءآن أن الشيخ عبد الرحمن السعدي يتفق في قواعد الحسان ويطابق تطبيقته.

---

<sup>١٣٠</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير...، ٤٩٧.

## (تطبيق قواعد الحسان على تفسير السعدى)

التطبيق	القواعد
<p>- مثال قوله تعالى: (ولو يرى الذين ظلموا) باتخاذ الأنداد والإنقياد لغير العباد، وظلموا الخلق بصددهم عن سبيل الله، وسعيهم فيما يضرهم (إذ يرون العذاب) يوم القيامة عيانا بأبصارهم (ان القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) اي لعلموا علما جازما أن القوة والقدرة لله جميعا، وأن أندادهم ليس فيها من القوة شئ فيتبين لهم في ذلك اليوم ضعفها وعجزها، وظنوا أن لها من الأمر شيئا. ، وأنها تقرهم إليه وتوصلهم إليه، وخاب ظنهم، وبطل سعيهم، وحق عليهم شدة العذاب ولم تدفع عنهم أنداد شيئا، ولم تغن عنهم مثقال ذرة من النفع، بل يحصل لهم الضرر منها من حيث ظنوا نفعها.</p>	<p>قواعد التفسير:</p> <p>١. حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدته في مقامات المعيد</p>

<p>- (ومن آيته) أي ومن الأدلة الدالة على رحمته وبعثه الموتى، وأنه الإله المعبود، والملك المحمود (أن يرسل الرياح) امام المطر (مبشرات) بإثارتها للسحاب، ثم جمعها، فتبشر بذلك النفوس قبل نزوله (ليذيقكم من رحمته) فينزل عليكم مطرا تحيا به البلاد والعباد، وتذوقون من رحمته ما تعرفونه أن رحمته، وهي المنقذة للعباد الجالية لأرزاقهم. فتشتاقون إلى الإكثار من الأعمال الصالحة، الفاتحة إلى خزائن الرحمة</p>	<p>٢. إن الله جعل الأسباب للمطالب العالية مبشرات، لتطمين القلوب، وزيادة الإيمان</p>
<p>- (رَبِّ الْعَالَمِينَ) الرب، هو المربي جميع العالمين - وهم من سوى الله - بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة، فمنه تعالى. وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة. فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.</p>	<p>قواعد القرآن للعام ١. إن ربوبية الله في القرآن على نوعين: عامة وخاصة.</p>

<p>والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحققتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا (المعنى) هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخلية تحت ربوبيته الخاصة.</p> <p>فدل قوله (رَبِّ الْعَالَمِينَ) على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمازق فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار.</p> <p>- (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان.</p> <p>(الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علامات أن يحجز صاحبه عن الذنوب.</p> <p>(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره</p>	<p>٢. في ذكر الأوصاف الجامعة التي وصف الله بها المؤمن</p>
--	---

<p>فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة رهم، أو وجلا من العقوبات، وازدجارا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.</p> <p>(وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ) وحده لا شريك له (يَتَوَكَّلُونَ)</p> <p>أي: يعتمدون في قلوبهم على رهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية، وينتقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك. والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به</p>	
<p>- (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصداً به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته</p>	<p>القاعدة الفقهية العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب</p>

مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل  
مستحب يفوت عليه الواجب.

(وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) أي: ليس

لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تجزى إلا

وقد كافأه بها، (ص: ٩٢٨) وربما بقي له الفضل

والمنة على الناس، فتمحض عبداً لله، لأنه رقيق

إحسانه وحده، وأما من بقي عليه نعمة للناس لم

يجزها ويكافئها، فإنه لا بد أن يترك للناس، ويفعل

لهم ما ينقص (إخلاصه) .

وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق

رضي الله عنه، بل قد قيل إنها نزلت في سببه، فإنه

-رضي الله عنه- ما لأحد عنده من نعمة تجزى،

حتى ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا نعمة

الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي (نعمة) الدعوة

إلى دين الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحق، فإن الله

ورسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء ولا

مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف

<p>الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى</p>	
<p>- أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً منها: أن من حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه لا يشق (ص: ١٨٨) عليهم؛ ويبدأ بالأهم فالأهم، والأسهل فالأسهل. ومنها: أنه لو فرض عليهم القتال - مع قلة عَدَدِهِمْ وَعَدَدِهِمْ وكثرة أعدائهم- لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام، فروعى جانب المصلحة العظمى على ما دونها ولغير ذلك من الحكم. وكان بعض المؤمنين يودون أن لو فرض عليهم القتال في تلك الحال، غير اللائق فيها ذلك، وإنما اللائق فيها القيام بما أمروا به في ذلك الوقت من التوحيد والصلاة والزكاة</p>	<p>اللطائف والفوائد يرشد الله عباده في كتابه من جهة العمل إلى قصر نظرهم على الحالة الحاضرة التي هم فيها، ومن جهة الترغيب في الأمر والترهيب من ضده إلى ما يترتب عليها من المصالح، ومن جهة النعم إلى النظر إلى ضدها</p>

<p>- (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .</p> <p>هذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذا مس بضر، كفقير ومرض، ونحوها</p>	<p>القواعد اللغوية</p> <p>١. إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام دلت على العموم.</p>
<p>- (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) وهذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائمين بها. (وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) وهذا في الأمور الباطنة، من عقائد القلب وأعماله.</p>	<p>٢. . الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه</p>